دراسة توثيقية نقدية

تطبع لأول مرة

مثالب ابن أبي بشر

للشيخ المقرئ أبي علي الحسن بن علي الأهوازي

المتوفى سنة ٤٤٦ هـ

كشف الغطا عن محض الخطا

جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر

كلاهما للحافظ

جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي

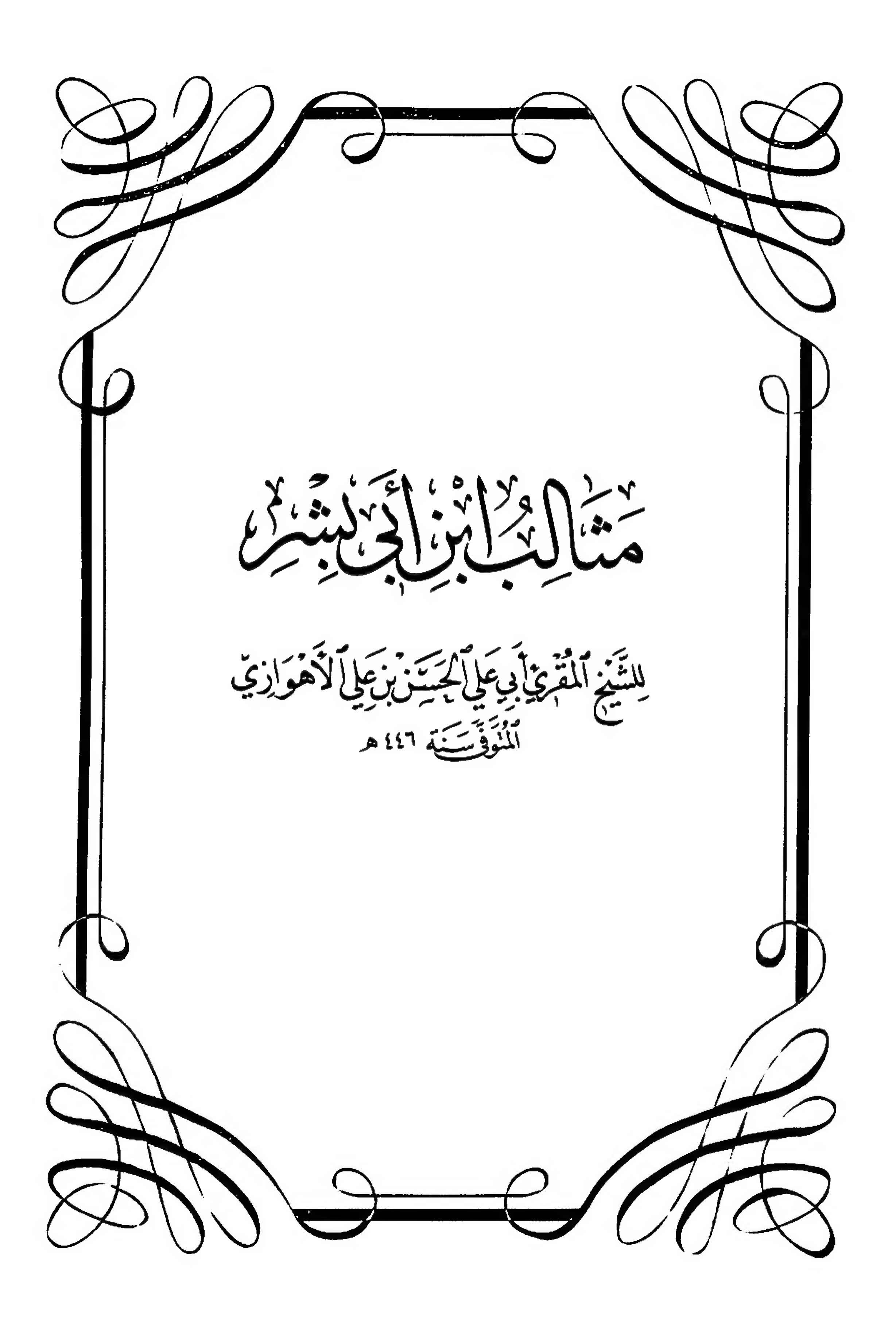
المتوفى سنة ٩٠٩ هـ

قرأها ووثقها وعلق عليها

محمد بن عبد الحميد العويطي

دار الذخائر

إحياء التراث أمة



مثالب ابن أبي بشر

للشيخ المقرئ أبي علي الحسن بن علي الأهوازي

المتوفى سنة ٤٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب «مثالب ابن أبي بشر» للشيخ المُقرئ المحدِّث أبي علي الحسن بن علي الأهوازي، أقدِّمه لإخواني الكِرام من أهل العلم وطلبته، قد بذلتُ قُصارى جهدي في ضبطه وتصحيحه والتعليق عليه، وقد قدَّمتُ للكتاب بمقدمة تناولتُ فيها ما يلي:

١- ترجمة الأهوازي.

٢- وصف الكتاب.

٣- أهمية الكتاب.

٤- الانتقادات الموجهة للكتاب.

٥- توبة أبي الحسن الأشعري.

٦- النشرة السابقة للكتاب.

٧- توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى مصنِّفه.

٨- وصف النسخة الخطية المعتمدة.

٩- المنهج المتَّبع في ضبط وتوثيق نص الكتاب.

١٠- نماذج من النسخة الخطية.

ولا يفوتني أن أُنبِّه إلى أن هذا الكتاب لا يخلو من فوائد، لكن به حكايات واهية، وألفاظ قاسية، فليكن قارئه على حذر، وليأخذ منه ما صفا، ويترك ما كَدَر، والحمد لله رب العالمين.

***

ترجمة الأهوازي[1]

اسمه ونسبه:

هو أبو علي الحسن بن علي بن إبرهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي. منسوب إلى الأهواز، وهو إقليم بين البصرة وفارس. وكان يُعرف بإمام الحرمين.

مولده ونشأته:

وُلد بالأهواز في أول سنة (٣٦٢هـ)، ثم قدم دمشق في سنة (٣٩١هـ) وسكنها.

حياته العلمية:

عُني بالقراءات، ورحل فيها، ولقي الكبار، فقرأ على أبي الحسن علي بن حسين بن عثمان الغضائري، وأبي الفرج الشَّنَبوذي، وأبي حفص الكَتَّاني، وأحمد بن محمد بن عبيد الله التُّسْتَري، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن القاسم الخرقي، وقرأ على جماعة كثيرة يطول ذكرُهم بالشام، والعراق، والأهواز.

---

(١) ينظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» (١٣/ ١٤٣)، و«معجم الأدباء» (٢/ ٩٣٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥/ ٢٤٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٦٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٣)، و«معرفة القراء الكبار» (ص: ٢٢٤)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٥١٢)، و«الوافي بالوفيات» (١٢/ ٧٦)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٢٢٠)، و«لسان الميزان» (٣/ ٩٤).

ورحل إليه القُرَّاء لعلوِّ سنده وإتقانه، فقرأ عليه أبو علي غُلام الهراس، وأبو القاسم الهُذَلي، وأبو بكر أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي، وأبو نصر أحمد بن علي بن محمد الزينبي البغدادي، وأبو الوحش سبيع بن المسلم، وأبو بكر محمد بن المفرج البطليوسي، وأبو بكر عتيق بن محمد الردائي، وأبو القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي.

وقد روى الحديثَ عن نصر بن أحمد بن الخليل المرجي، وعبد الجبار بن محمد الطلحي، وأبي حفص الكَتَّاني، وهبة الله بن موسى الموصلي، والمعافى بن زكريا النهرواني، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي، وتمام بن محمد الرازي، وأبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وخَلْق يطول ذكرُهم.

روى عنه أبو بكر الخطيب، وأبو سعد السمان، وعبد الرحيم البخاري، وعبد العزيز الكَتَّاني، والفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبو طاهر محمد بن الحسين الحِنَّائي، وأبو القاسم النسيب.

مذهبه العقدي:

قال أبو القاسم بن عساكر: «كان مذهبُه مذهبَ السالمية، يقول بالظاهر ويتمسَّك بالأحاديث الضعيفة التي تقوِّي له رأيَه».

وقال الذهبي: «سألتُ شيخنا ابن تيمية عن مذهب السالمية فقال: هم قوم من أهل السنة في الجملة من أصحاب أبي الحسن بن سالم، أحد مشايخ البصرة وعُبَّادها، وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم من أصحاب سهل بن عبد الله التُّسْتَري، خالفوا في مسائل، فبُدِّعوا».

وقال شيخ الإسلام أيضًا في «شرح حديث النزول»: «السالمية أتباع الشيخ أبي الحسن بن سالم صاحب سهل بن عبد الله التُّسْتَري، لهم من المعرفة والعبادة والزهد واتِّباع السنة والجماعة في عامة المسائل المشهورة لأهل السنة ما هم معروفون به، وهم منتسبون إلى إمامين عظيمين في السنة؛ الإمام أحمد بن حنبل، وسهل بن عبد الله التُّسْتَري، ومنهم من تفقَّه على مذهب مالك بن أنس، وفيهم من هو على مذهب الشافعي.

فالذين ينتسبون إليهم، أو يعظِّمونهم، ويقصدون متابعتهم، أئمة هدى -رضوان الله عليهم أجمعين- وهم في ذلك كأمثالهم من أهل السنة والجماعة، وقلَّ طائفة من المتأخرين إلا وقع في كلامها نوع غلط؛ لكثرة ما وقع من شبه أهل البدع...»(١).

وقال أيضًا: «وأما السالمية فهم والحنبلية كالشيء الواحد، إلا في مواضع مخصوصة تجري مجرى اختلاف الحنابلة فيما بينهم، وفيهم تصوُّف، ومن بَدَّع من أصحابنا هؤلاء يُبدِّع أيضًا التسمِّي في الأصول بالحنبلية وغير ذلك، ولا يرى أن يتسمَّى أحد في الأصول إلا بالكتاب والسنة، وهذه طريقة جيدة، لكن هذا مما يسوغ فيه الاجتهاد...»(٢).

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة منها:

١- الموجز في القراءات.

---

(١) «شرح حديث النزول» (ص: ١١٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٦). وينظر أيضًا: «منهاج السنة» (٢/ ٤٩٩).

٢- الإيجاز في القراءات.

٣- البيان في شرح عقود أهل الإيمان.

٤- مثالب ابن أبي بشر.

٥- الوجيز في شرح قراءات القَرَأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة.

مكانته عند العلماء:

اختلف أهل العلم في الأهوازي ما بين ذامٍّ ومادح، وسأذكر طرفًا من ذلك، بادئًا بمن ذمه، ثم بمن مدحه، ثم بخلاصة القول فيه:

أولًا: الأقوال في ذمه:

قال علي بن الخضر العثماني: «أبو علي الأهوازي تكلَّموا فيه، وظهر له تصانيف زعموا أنه كذب فيها».

وقال أبو طاهر محمد بن الحسن البلخي: «كنت عند رشأ بن نظيف في داره على باب الجامع وله طاقة إلى الطريق، فاطلع منها وقال: قد عبر رجل كذاب. فاطلعتُ فوجدته الأهوازي».

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: «أبو علي الأهوازي كذَّاب في الحديث والقراءات جميعًا».

وعلَّق على ذلك الذهبي بقوله: «قلت: يريد تركيب الإسناد، وادِّعاء اللقاء، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلا، ما أُجوِّز ذلك عليه، وهو بحر في القراءات، تلقَّى المقرئون تواليفه ونقله للفن بالقبول، ولم ينتقدوا

عليه انتقاد أصحاب الحديث، كما أحسنوا الظن بالنقاش وبالسامري، وطائفة راجوا عليهم».

وقال الكتاني: «اجتمعتُ بالحافظ هبة الله بن الحسن الطبري ببغداد، فسألني عمَّن بدمشق من أهل العلم، فذكرتُ له جماعة منهم أبو علي الأهوازي فقال: لو سَلِم من الروايات في القراءات».

وعلَّق على ذلك الذهبي بقوله: «قلت: أما القراءات فتلقَّوا ما رواه من القراءة وصدَّقوه في اللقاء، وكان مُقرئ أهل الشام بلا مدافعة؛ معرفة وضبطًا وعلوَّ إسناد».

وقال الذهبي أيضًا: «كان من غُلاة السنة، صنَّف كتابًا في الصفات، وروى فيه الموضوعات ولم يضعِّفها، فما كأنه عرف بوضعها، فتكلَّم فيه الأشاعرة لذلك، ولأنه كان ينال من أبي الحسن الأشعري».

ثانيًا: الأقوال في مدحه:

قال أبو عمرو الداني: «أخذ أبو علي القراءة عرضًا وسماعًا عن جماعة من أصحاب ابن مجاهد وابن شَنَبُوذ، وكان واسع الرواية كثير الطرق حافظًا ضابطًا، أقرأ الناس بدمشق دهرًا».

وقال الشريف النسيب علي بن إبراهيم العلوي: «أبو علي الأهوازي ثقة».

وقال الذهبي: «هو الشيخ الإمام العلَّامة، مقرئ الآفاق، كان رأسًا في القراءات، معمَّرًا، بعيد الصيت، صاحب حديث ورحلة وإكثار، وليس

بالمتقن له، ولا المجوِّد، بل هو حاطب ليل، ومع إمامته في القراءات فقد تُكُلِّم فيه وفي دعاويه تلك الأسانيد العالية».

وقال ابن الجزري: «الأستاذ أبو علي الأهوازي صاحب المؤلفات، شيخ القرَّاء في عصره، وأعلى من بقي في الدنيا إسنادًا، إمام كبير محدِّث،... وأكثرَ من الشيوخ والروايات فتُكُلِّم فيه من قِبل ذلك، وانتصب للكلام في الإمام أبي الحسن الأشعري، فبالغ الأشعرية في الحط عليه، مع أنه إمام جليل القدر أستاذ في الفن، ولكنه لا يخلو من أغاليط وسهو، وكثرة الشَّره أوقع الناس في الكلام فيه.

ولكنه ذكر الحافظ أبو طاهر السِّلفي في «معجمه» قال: سمعتُ أبا البركات الخضر بن الحسن الحازمي صاحبنا بدمشق يقول: سمعت الشريف النسيب علي بن إبراهيم العلوي يقول: أبو علي الأهوازي ثقة.

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ولقد تلقَّى الناس رواياته بالقبول، وكان يقرئ بدمشق من بعد سنة أربعمائة، وذلك في حياة بعض شيوخه».

ثالثًا: خلاصة القول فيه:

يتبين من هذه الأقوال أن الأهوازي إمام كبير في القراءة والحديث معًا، لكنه صاحب أخطاء وأوهام وغرائب، ورواية لبعض المناكير والموضوعات، وقلما يسلَم من ذلك أحد، حتى من اتسم بالحفظ والأمانة من الأئمة، كأبي نعيم الأصبهاني والخطيب البغدادي وابن عساكر.

وقد عظَّم الأشاعرةُ أخطاءه وأوهامه، وبالغوا في التنقُّص منه لذكره مثالب الأشعري، كما ذكر الذهبي وابن الجزري رحمهما الله.

وفاته:

توفي في رابع ذي الحجة سنة (٤٤٦هـ) رحمه الله وغفر له؛ إنه هو الغفور الرحيم.



وصف الكتاب

اسم الكتاب هو «مثالب ابن أبي بشر» والمثالب هي المعايب، وابن أبي بشر هو أبو الحسن الأشعري، فهو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري.

فهذا الكتاب -كما يتضح من عنوانه- سجَّل فيه مؤلفه معايب أبي الحسن الأشعري، لكنه تطرَّق فيه إلى أمور أخرى سيأتي بيانها.

وهو في الأصل جواب سؤال ورد إلى المؤلِّف من بعض الناس يسأله عن حال الأشعري؛ حيث قال في مقدمته: «وأنا -إنْ شاء الله- أُورد جميعَ ما سمعتُه فيه -يعني: الأشعري- في هذه الأوراق احتسابًا، ورجاءَ ثوابِ الله ﷻ، وقضاءً لحقِّك فيما سألتَني عنه».

بدأه بالتحذير من أهل البدع عامةً، ثم تناول الأشعري بأن انتسابه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ليس بنافعه شيئًا، وأنه ادَّعى أنه من أهل السنة، ولبَّس على الناس أمره، فمال إليه طائفة من الجهال.

ثم ذكر أنه شاهد جماعة ممن رأَوُا الأشعري، وأنهم حدَّثوه بأخباره، وأنه سيذكر جميع ما سمعه منهم.

فبدأ بذكر سنة ولادته ووفاته، وأنه وُلد سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي سنة (٣٣٦هـ)، وأنه أقام على الاعتزال أربعين سنة، ثم قال: رجعت عنه.

ثم ذكر قصة توبته، واختلاف الناس في ذلك؛ هل تاب حقًّا، أم إنه أظهر ذلك لعَرَض من الدنيا؟

ثم ذكر قصةً في أن الأشعري حكى عن نفسه أنه وُلد ملحدًا.

ثم ذكر الأهوازي أن توبة الأشعري غير مقبولة منه؛ للأحاديث التي تفيد بأن الله تعالى لا يقبل من مبتدع توبة، وذكر أن الناس في التوبة على ضروب، ثم فصَّلها.

ثم ذكر أن الأشعري صنَّف كتاب «الإبانة»، وأن أصحابه جعلوه وقاية لهم من أهل السنة، وأن الحنابلة لم يقبلوه من الأشعري وهجروه، ثم ذكر قصته مع البربهاري.

وأن له مسألةً في أنَّ الإيمانَ غيرُ مخلوق، قد جعلها وقاية من مخالفيه.

ثم ذكر أنه قد ثبت عنه وصحَّ بنقل الفُضلاء أنه كان لا دِينَ له، وأنه كان يتهاون بالشريعة، ويركب الفواحشَ، ويترك المفروضاتِ، ثم ذكر حكايات تفيد ذلك.

ثم ذكر أن الأشعري أقام بالبصرة لا يختلف إليه أحدٌ مِن أهل العلم، وأنه لم يكن له بها إذ ذاك كبيرُ ذِكر ولا كثير أصحاب، وإنما كان له بها أربعةٌ مِن أصحابه، ثم ذكرهم وأورد تراجم مختصرة لهم.

ثم ذكر أن الأشعري لم تكن له منزلةٌ في العلم والقرآن والفقه والحديث، وكذلك جميع نظرائه مِن المتكلِّمين.

وأنه لم يزل قولُ الأشعري مهجورًا متروكًا، إلى أن نشأت طائفة لا تقول بالقرآن والأثر، فمالوا إليه وطاروا نحوَه، ونشروا مذهبه في البلاد.

وأنه لم يزل يسير في البلاد، لا يُقبل له قول، ولا يجد في بلاد الإسلام مقرًّا، حتى لحق ببلد الأَحساء، بلد القرامطة الكُفَّار، ولم يزل مقيمًا بها إلى أن مات.



أهمية الكتاب

كتاب «مثالب ابن أبي بشر» ينقل لنا صورة من صور الصراع بين الأشاعرة ومخالفيهم، ويؤرِّخ لتلك الفترة التي تمتد ما بين القرنين الرابع والخامس من وجهة نظر أحد كبار المخالفين للأشاعرة.

ويُعَدُّ دليلًا قويًّا على أن طائفة من أهل العلم كانت معارضة للأشعري حتى بعد توبته، ولا ترى أنه تاب توبة حقيقية، وهذا مهم جدًّا؛ إذ إنه قد استقرَّ في أذهان كثير من المتأخرين توبة أبي الحسن الأشعري، حتى إنهم لَيُعرضون كلَّ الإعراض عن القول الآخر، ويهملونه ولا يذكرونه.

* كما أن هذا الكتاب يُعَدُّ مصدرًا مهمًّا لتوثيق النصوص؛ ذلك لأنه اعتمد عليه كثير ممن جاء بعده من أهل العلم ممن وافقوه أو خالفوه، منهم على سبيل المثال:

١ - الحافظ ابن عساكر؛ فقد ألف في الرد عليه كتابه المشهور: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»، وقد بنى كتابَه هذا على كتاب الأهوازي، فكتابُ الأهوازي مصدر مهم لفَهْم كتاب «التبيين»، ولتوثيق نصوصه، وكنتُ عند قراءتي لـ «التبيين» أتمنى أن أقف على كتاب الأهوازي حتى يكتمل تصوُّري للموضوع وفهمي له، إلى أن منَّ اللَّه عليَّ بذلك.

وقد وافق ابنُ عساكر الأهوازيَّ في بعض ما قاله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر ذلك الحافظ أبو القاسم بن عساكر المنتصر لأبي الحسن الأشعري في كتابه الذي سمَّاه «تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري» موافقًا للشيخ أبي علي الأهوازي المصنِّف في مثالب الأشعري، مع كون ابن عساكر ردَّ على الأهوازي ذمَّه وثَلْبه له، لكن وافقه في ذلك، فذكر أبو علي الأهوازي[١] أنه مُذ قوي مذهبه أقل من ثلاثين سنة. والأهوازي توفيِّ سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

قال ابن عساكر[٢]: وقوله: «إن مُذ قوي ذلك أقل من ثلاثين سنة» فلعمري إنه إنما اشتهرت هذه النسبة من الأزمنة في عصر القاضي أبي بكر بن الباقلاني ذي التصانيف المستحسنة المنتشرة في بغداد وغيرها من البلدان والأمكنة»[٣].

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإنه قد استفاد منه في عدة مواضع من كتبه، مع أنه لم يوافقه في بعض ما قاله[٤].

٣- الحافظ شمس الدين الذهبي؛ فقد نقل منه حكايات في توبة الأشعري[٥].

---

(١) «المثالب» (ص: ٧٥).

(٢) «تبيين كذب المفتري» (ص: ٤١٠).

(٣) «الاستقامة» (١/ ١٠٥).

(٤) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٥٦)، و«الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦٦٠)، و«منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٦١).

(٥) ينظر: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٤٩٥، ٥٧٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٩٠).

٤- الحافظ يوسف بن عبد الهادي، فقد نقل هذا الكتاب كاملًا مفرَّقًا في عدة مواضع في كتابه «كشف الغطا»، وذلك قبل أن يطلع على «التبيين» لابن عساكر، فلما اطلع عليه صنَّف كتابه الآخر: «جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر» اعتمد فيه أيضًا على كتاب الأهوازي.

* وتتضح أهمية هذا الكتاب أيضًا للناظر في النسخة الخطية له، فإنه سيجد كثيرًا من أهل العلم وطلبته قد تتابعوا على قراءته وسماعه، وهذا مما أثار حَفيظة الحافظ ابن عساكر، فقال في معرض ردِّه على الأهوازي: «ولستُ أعجب منه فيما أتاه مِن الجهل؛ لأنه اللائق به لسُوء العَقد وعدم الفضل، وإنما أعجب مِن تُيُوس سَمِعوه منه وحَكَوْه، وجُهَّال كتبوه عنه ورَوَوْه»(١).

فردَّ عليه الحافظ ابن عبد الهادي قائلًا: «بل هو أعجب مِن ذلك، حيث عَمِيَ قلبُه، فإني رأيت كتابَهُ وقد سَمِعه جماعةٌ مِن أعيان العلماء الكِبار، مثل: القاضي أبي الحسين بن الفرَّاء، والإمام عبد القادر بن أبي الفهم الحراني، والإمام أبي القاسم بن الشيخ مسمار، وجمال الإسلام بن مُنَجَّى، والشيخ فخر الدين بن تيمية، وأبي عبد الله السروجي، وجمال الدين البَنْدَنِيجي، والإمام نصر الله بن عبد العزيز الحراني، والحافظ أبي الطاهر السِّلفي، والإمام أبي محمَّد مقاتل بن مطكود السُّوسي، وأبي القاسم بن مطكود، وعيسى بن عبد الرحمن بن بركات الإحصاصي، وغيرهم من الأئمَّة.

---

(١) «التبيين» (ص: ٤١٩).

فكيف ساغ له أن يجعل هذه الأئمَّة تُيُوسًا وجَهلة؟! لا بارك الله في كلِّ مفترٍ» اهـ.

* وإذا كان فريق من المحققين يرون نشر التراث بغضِّ النظر عما يحمله من أفكار، ولو كان يحمل رفضًا أو اعتزالًا أو تجهُّمًا أو تصوُّفًا منحرفًا[١]، فلأن يُنشر مثل هذا الكتاب الذي لا يشوبه شيء من ذلك -مع اعترافنا بما فيه من خلل وقصور كما سيأتي- أولى وأحرى، والله أعلم.



---

(١) ولا أوافقهم على ذلك، إلا إذا عُلِّق على ما فيها من ضلالات ببيان وجه الحق فيها، حتى لا يكونوا سببًا في إضلال الناس بها، والله أعلم.

الانتقادات الموجَّهة للكتاب

لقد تعرَّض هذا الكتاب لهجوم شديد وانتقادات كثيرة من بعض أهل العلم، وكان من أشدهم في ذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر، فقد رد عليه في كتابه المشهور: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»، وهذا ليس بغريب؛ فابن عساكر أشعري مشهور، فلا جرم أن يتعصب لإمامه ويدافع عنه، سواء أكان ذلك بحق أم بباطل.

وقد حفظت لنا النسخة الخطية لهذا الكتاب صورةً من صور الهجوم عليه؛ حيث كتب بعضهم في صفحة العنوان: «قد أجاب الحافظ أبو القاسم بن عساكر عما فيه مِن الدعاوى الباطلة والحكايات الملفقة».

ثم إن بعضهم ضَرَب على هذه الكتابة، وكتب آخَرُ أسفل منها: «كلُّ ما أجاب به ابن عساكر هَذَيان بغير علم، وهذه الأخبار والحكايات قد ذكرها عِدَّة مِن أهل العلم غير هذا الرجل، مثل شيخ الإسلام الأنصاري وغيره»[1].

ولا شك أن في الكتاب أوجهًا من القصور والخلل تتضح للناظر فيه، فمن ذلك:

١- العبارات الشديدة التي استعملها في حق أبي الحسن الأشعري، مثل: لعنه الله وأخزاه، لا رحمه الله، جعل النارَ مُنقلبَه ومثواه، ونحوها.

---

(١) وقد نقل هذا أيضًا ابن عبد الهادي في «كشف الغطا» (ص: ١٤١).

٢- استشهاده ببعض الأحاديث الضعيفة والمنكرة.

٣- إيراده بعض الحكايات الغريبة التي قد يتهيَّأ الحكم عليها بالكذب والوضع؛ ولذلك يقول الذهبي: «وقد ألَّف الأهوازي جزءًا في مثالب ابن أبي بشر، فيه أكاذيب»[1].

وهذه الأكاذيب هي من افتراء المعتزلة وغيرهم من أعدائه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان أبو الحسن الأشعري لما رجع عن الاعتزال سلك طريقة أبي محمد بن كُلَّاب، فصار طائفة ينتسبون إلى السنة والحديث من السالمية وغيرهم كأبي علي الأهوازي يذكرون في مثالب أبي الحسن أشياء هي من افتراء المعتزلة وغيرهم عليه؛ لأن الأشعري بيَّن من تناقض أقوال المعتزلة وفسادها ما لم يبينه غيره، حتى جعلهم في قمع السمسمة»[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٥٦).

توبة أبي الحسن الأشعري

اختلف الناس في توبة أبي الحسن الأشعري اختلافًا كثيرًا، وهل كان رجوعه إلى السنة رجوعًا كاملًا أم لا؟

والذي عليه كثير من متقدمي أهل العلم المنتسبين إلى السنة أنه لم يتب توبة حقيقية، وافترقوا على قولين:

● القول الأول:

أنه لم يترك الاعتزال إلا في الظاهر، وأنه رجع من التصريح إلى التمويه، واتهمه بعضهم بالزندقة.

- ومن هؤلاء الأهوازي، وقد صنف كتابه «المثالب» ليدلِّل على ذلك.

- ومنهم أبو عمر البسطامي(١)، ويحيى بن عمار(٢)، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري، وأقوال هؤلاء وغيرهم مبثوثة في «ذم الكلام»

---

(١) هو الإمام الواعظ أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم البسطامي، شيخ الشافعية، قاضي نيسابور، له رحلة واسعة وفضائل، وكان وافر الحشمة، كبير الشأن، روى عنه: الحاكم والبيهقي وغيرهما كثير، مات سنة ثمان وأربعمائة. «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٢٠).

(٢) هو الإمام الواعظ يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنبس أبو زكريا الشيباني السجستاني نزيل هراة، كان متحرِّقًا على المبتدعة والجهمية، بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، إلا أنه كان له جلالة عجيبة بهراة وأتباع وأنصار، توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٨١).

للأنصاري، ونقل بعضها ابن عبد الهادي في كتابيه «كشف الغطا»، و«جمع الجيوش والدساكر».

- ومنهم الفقيه خلف المعلم المالكي (ت: ٣٧١هـ) حيث قال: «أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع، وثبت على الأصول»[١].

والمراد أنه ثبت على أصول المعتزلة الكلامية العقلية التي بَنَوْا عليها الفروع المخالفة للسنة، مثل الأصل الذي بَنَوْا عليه حدوث العالم وإثبات الصانع، لكنه مخالف لهم في كثير من لوازم ذلك وفروعه[٢].

- ومنهم الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي (ت: ٤٤٤هـ) فقد قال: «لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نِحَلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كُلَّاب والقلانسي والصالحي والأشعري وأقرانهم، الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة، وهم معهم، بل أخس حالًا منهم في الباطن...»[٣].

وقال أيضًا: «ثم بُلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدَّعون أنهم من أهل الاتِّباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كُلَّاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري...»[٤].

---

(١) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص: ٢٠٩).

(٢) ينظر: «درء التعارض» (٧/ ٢٣٧).

(٣) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص: ١١٥).

(٤) «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص: ٣٤٣).

- ومنهم شيخ الحرم الإمام الحافظ أبو القاسم سعد بن علي الزَّنْجاني (ت: ٤٧١هـ) يقول في قصيدة له في السنة:

وشقَّق هذا الأشعريُّ كلامَه ... وأربى على من قبله من ذوي الدَّبَرْ[1]

فما قاله قد بان للحقِّ ظاهرًا ... وما في الهدى عمدًا لِمَن ماز وادَّكرْ[2]

- ومنهم أيضًا شيخ الحرمين الإمام أبو الحسن الكرجي (ت: ٥٣٢هـ) يقول في قصيدة له يذم فيها الأشعري:

وخُبْثُ مَقالِ الأشعريِّ تخنُّثٌ ... يُضاهي تَلَوِّيه تَلَوِّي الشَّغازِبِ[3]

يُزَيِّنُ هذا الأشعريُّ مقالَه ... ويَقْشِبُه بالسُّمِّ يا شرَّ قاشِبِ[4]

فينفي تفاصيلًا ويُثْبِتُ جُملةً ... كناقضةٍ من بعد شدِّ الذَّوائبِ[5]

إلى أن قال:

ولم يكُ ذا علمٍ ودينٍ وإنَّما ... بِضاعتُه كانت مَخُوقَ مُداعبِ

وكان كلامِيًّا بالاخساءِ موتُه ... بأسوأ موتٍ ماتَه ذو السَّوائبِ[6]

---

(١) أي: زاد على من قبله من أصحاب البدع.

(٢) «قصيدة الزنجاني» (ص: ١٠٤٨ - ضمن «الجامع في عقائد أهل السنة» لعادل حمدان).

(٣) الشغزبة: الالتواء والمكر.

(٤) يقشبه: يخلطه.

(٥) الذوائب: الضفائر.

(٦) «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ١٤٤).

- ومنهم الإمام الفقيه العلَّامة موفَّق الدين بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) يقول في معرض ردِّه على الأشعرية في مسألة كلام الله تعالى: «هل وجدتُم هذه الضلالة وقبيح المقالة عند أحد من المتقدِّمين، سوى قائدكم إلى الجحيم، الناكب بكم عن الصراط المستقيم، الذي لم يُعرف له فضيلة في علم شرعي ولا دين مرضي، سوى علم الكلام المذموم المشؤوم، الذي الخير فيه معدوم، نشأ في الاعتزال إلى أربعين عامًا يناظر عليه ويدعو الناس إليه، ثم أثمر ذلك مقالته هذه التي يرد بها على الله سبحانه وعلى نبيه ﷺ، وخالف بها المسلمين والجِنَّة والناس أجمعين، فكيف رضيتم به إمامًا عوضًا عن رسول الله ﷺ؟! وكيف قدَّمتم قوله على قول الله سبحانه؟! وكيف خالفتم إجماع المسلمين بمجرد قوله بلا حجة سوى مجرد تقليده والمصير إلى قوله؟!»(١).

وقال أيضًا: «واتفق أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن القرآن الذى دعوا إلى القول بخلقه سوى هذه السور التي سماها الله قرآنًا عربيًّا وأنزلها على رسوله عليه السلام، ولم يقع الخلاف في غيرها البتة، وعند الأشعري أنها مخلوقة، فقوله قول المعتزلة لا محالة، إلا أنه يريد التلبيس؛ فيقول في الظاهر قولًا يوافق أهل الحق، ثم يفسِّره بقول المعتزلة»(٢).

وقال أيضًا: «ومن العجب أن إمامهم -يعني الأشعري- الذي أنشأ هذه البدعة رجل لم يُعرف بدين ولا ورع ولا شيء من علوم الشريعة البتة،

---

(١) «رسالة في القرآن وكلام الله» (ص: ٥٤).

(٢) «المناظرة في القرآن» (ص: ٤٧).

ولا يُنسب إليه من العلم إلا علم الكلام المذموم، وهم يعترفون بأنه أقام على الاعتزال أربعين عامًا ثم أظهر الرجوع عنه، فلم يظهر منه بعد التوبة سوى هذه البدعة، فكيف تصور في عقولهم أن الله لا يوفِّق لمعرفة الحق إلا عدوَّه؟! ولا يجعل الهدى إلا مع من ليس له في علم الإسلام نصيب ولا في الدين حظ؟!»(١).

● **القول الثاني:**

أنه رجع عن الاعتزال حقًّا، لكنه تابع ابن كُلَّاب، وبقيت عليه بقايا اعتزالية لم يستطع التخلص منها.

فقد ذكر الحافظ ابن عساكر أن أبا القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي المغربي قال: «سألتُ أبا بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقلتُ له: قيل لي عنه: إنه كان معتزليًّا وإنه لما رجع عن ذلك أبقى للمعتزلة نكتًا لم ينقضها. فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة...»(٢).

وذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذه بعض أقواله:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلَّاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد،

---

(١) «المناظرة في القرآن» (ص: ٥١).

(٢) «تبيين كذب المفتري» (ص: ٣٩).

كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كـ «الإبانة» و«الموجز» و«المقالات» وغيرها، وكان مختلطًا بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلِّم بهم... وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر عبد العزيز وأبي الحسن التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة في الجملة، ويذكرون ما ذكره من تناقض المعتزلة...»[١].

وقال أيضًا: «وذكر في «الإبانة» أنه يأتم بقول الإمام أحمد، قال: «فإنه الإمام الكامل، والرئيس الفاضل، الذي أبان الله به الحق، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين». وقال: «فإن قال قائل: قد أنكرتُم قول الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة»[٢].

واحتج في ضمن ذلك بمقدِّمات سلَّمها للمعتزلة»[٣].

وقال أيضًا في معرض ردِّه على من قال بالكلام النفسي: «لا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول في الإسلام: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، واتبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما، وكانا يخالفان المعتزلة، ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة، ولكن لتقصيرهما في علم السنة، وتسليمهما للمعتزلة أصولًا فاسدة؛ صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا»[٤].

---

(١) «درء التعارض» (٢/ ١٦).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص: ٢٠).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٢٨).

(٤) «الاستقامة» (١/ ٢١٢).

وقال أيضًا: «والأشعري ابتُلي بطائفتين: طائفة تبغضه، وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه، ويقول: إنما صنَّف هذه الكتب تقيةً وإظهارًا لموافقة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم. وهذا كذب على الرجل؛ فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته.

فدعوى المدَّعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعًا وعقلًا؛ بل من تدبَّر كلامه في هذا الباب في مواضع تبين له قطعًا أنه كان ينصر ما أظهره؛ ولكن الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية يقصدون نفي ذلك عنه لئلا يقال: إنهم خالفوه مع كون ما ذهبوا إليه من السنة قد اقتدوا فيه بحجته التي على ذكرها يعوِّلون وعليها يعتمدون.

والفريق الآخر: دفعوا عنه لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يُظهرون إلا خلاف هذا القول، ولكونهم اتهموه بالتقية.

وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السنة التي خالفهم فيها المعتزلة؛ كمسألة الرؤية والكلام وإثبات الصفات ونحو ذلك؛ **لكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصَّلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة، واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغير ذلك.**

والمخالفون له من أهل السنة والحديث ومن المعتزلة والفلاسفة يقولون: إنه متناقض، وإن ما وافق فيه المعتزلة يناقض ما وافق فيه أهل السنة،...

فلما كان في كلامه شوب من هذا وشوب من هذا: صار يقول من يقول: إن فيه نوعًا من التجهم.

وأما من قال: إن قوله قول جهم؛ فقد قال الباطل. ومن قال: إنه ليس فيه شيء من قول جهم؛ فقد قال الباطل، والله يحب الكلام بعلم وعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل الناس منازلهم...»(١).

وذهب إلى ذلك أيضًا الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني، فقد نقل عن محمد بن إسحاق النديم في «الفهرست» أنه قال عن ابن كُلَّاب: «كان من نابتة الحشوية»(٢).

ثم تعقبه قائلًا: «وقول النديم: إنه من الحشوية. يريد من يكون على طريق السلف في ترك التأويل للآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات، ويقال لهم: المفوِّضة، وعلى طريقته -أي: على طريقة ابن كُلَّاب- مشى الأشعري في كتاب «الإبانة»»(٣).

وكذلك الحافظ ابن عبد الهادي حيث قال: «قلت: مَن نشأ على أمر، وأفنى عُمره فيه، قلَّ أن يخرج من قلبه، ولو تاب منه، ولو رجع عن بعضه، لا يمكن أن يرجع عن كلِّه، لا سيما وقد أخبر هو أنه يموِّه بذلك على أعدائه»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٠٤). (٢) «الفهرست» (ص: ٢٢٤).

(٣) «لسان الميزان» (٤/ ٤٨٧).

(٤) «جمع الجيوش والدساكر» (ص: ٣٠٤).

● الجمع بين القولين:

لا أرى تناقضًا بين هذين القولين؛ من قال: إنه لم يترك الاعتزال إلا في الظاهر، ومن قال: إنه تابع ابن كُلَّاب، وبقيت عليه بقايا اعتزالية.

فأصحاب القول الأول؛ لما رأوا ما هو عليه من أصول المعتزلة، وعدم تركه للكلام وتبرِّيه منه، مع تصريحه بالانتساب إلى السنة وإلى الإمام أحمد، واغترار الناس به وتسارعهم إليه، هالهم هذا الأمر، وخافوا على العوام من دخول هذه البقايا الاعتزالية إليهم، فصرحوا بأنه ما زال معتزليًّا، ويريدون هذه البقايا الاعتزالية التي بقيت معه، موافقين لأصحاب القول الثاني، قاصدين في نفس الوقت تنفير العوام عنه.

ويلاحظ أن أصحاب هذا القول أكثرهم من المتقدِّمين المعاصرين له أو لتلامذته أو من بعدهم، وفي هذا الزمن كانت السنة ظاهرة والبدعة ضامرة، فاشتدوا لذلك على الأشعري.

أما أصحاب القول الثاني؛ فكان من أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كانت الصولة والدولة للأشاعرة، فاستخدم الرفق واللين في ذلك، والله أعلم.

● شبهات والرد عليها:

ذهب كثير من الباحثين المعاصرين إلى أن أبا الحسن الأشعري -وإن كان تبع ابن كُلَّاب بعد توبته من الاعتزال- إلا أنه في نهاية أمره قد رجع رجوعًا كاملًا إلى مذهب السلف، واستدلوا بما يلي:

١ - أن «الإبانة» من آخر تصانيف الأشعري، وهو يسير فيها على منوال السلف في إثبات الصفات الإلهية كلها.

٢- أنه صرَّح في «الإبانة» برجوعه واتِّباعه للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- قول الحافظ ابن كثير: «ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال، التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وتأويل الخبرية كالوجه، واليدين، والقدم، والساق، ونحو ذلك.

والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف، ولا تشبيه، جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في «الإبانة» التي صنفها آخرًا، وشرحها القاضي الباقلاني، ونقلها أبو القاسم ابن عساكر»[(١)].

هذه هي أهم الأدلة التي يستدل بها من يرى أن الأشعري رجع رجوعًا كاملًا إلى مذهب السلف، وسأرد عليها باختصار.

١ - أما قولهم: إن «الإبانة» من آخر تصانيف الأشعري، وهو يسير فيها على منوال السلف، في إثبات الصفات الإلهية كلها. فالجواب:

أنه مع سيره فيها على منوال السلف، إلا أنه احتج في ضمن ما ذكره

---

(١) «طبقات الشافعيين» (ص: ٢١٠).

بمقدِّمات سلَّمها للمعتزلة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقلتُه قبل قليل.

كما أن إثبات الأشعري للصفات الخبرية في «الإبانة» لا ينافي كونه كُلَّابيًّا؛ فإن ابن كُلَّاب كان يثبت الصفات الخبرية كلها لله تعالى، كالوجه واليدين والقَدَم، لكنه قال بامتناع أن تقوم الصفات الاختيارية بذات الله مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك، فقال بأزلية كلام الله تعالى، ومنع أن يتكلم سبحانه متى شاء وكيف شاء.

٢- أما قولهم: إنه صرَّح في «الإبانة» برجوعه واتباعه للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فالجواب:

أنه صدق في ذلك بحسب قصده واجتهاده؛ ولكنه لم يكن خبيرًا باعتقاد الإمام أحمد، فلذلك أخطأ في بعض المسائل، وتبع قول ابن كُلَّاب ظانًّا منه أنه لم يخالف الإمام أحمد، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حقه: «لكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصَّلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة...» وقد سبق نقله بتمامه قبل قليل.

٣- أما ما نقله الحافظ ابن كثير، فالجواب:

أ- أنَّا لا ندري من هؤلاء الذين ذكروا أن للأشعري ثلاث حالات.

ب- أن قولهم: إنه في الحالة الثانية كان يؤول الصفات الخبرية. قول غير صحيح؛ قال شيخ الإسلام: «والأشعري وأئمة أصحابه، متفقون على

إثبات الصفات الخبرية التي ذُكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين، وإبطال تأويلها، وليس للأشعري في ذلك قولان أصلًا، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين؛ ولكن لأتباعه قولان في ذلك»[١].

ج- أنني لم أجد أحدًا قد تابع هذا النقل المذكور، وذكر هذه الحالات الثلاث للأشعري، والله أعلم[٢].

***

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١/ ٤٣٧). وينظر: «درء التعارض» (٣/ ٣٨١) (٥/ ٢٤٨)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ١٩٠).

(٢) وينظر لمزيد من التفصيل حول توبة الأشعري وأنه لم يترك طريقة ابن كلاب: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للمحمود (ص: ٣٧٧- ٤٠٩)، و«التداخل العقدي» للغفيص (ص: ١٥٣ وما بعدها، ٤٧٧ وما بعدها).

النشرة السابقة للكتاب

طُبع الكتاب لأول مرة -حسب علمي- بعناية أحد المستشرقين في مجلة معهد الدراسات الفرنسية بدمشق عدد رقم (٢٣)، سنة ١٩٧٠م.

ويبدو أن معرفة هذا المستشرق بالمخطوطات وطرق كتابتها ومقابلتها قليلة، فنجده أحيانًا يثبت ما في حواشي النسخة في المتن، وما في صلبها يضعه في الهامش، هذا بجانب وقوع عديد من التصحيفات والأخطاء في قراءة النص، فمن ذلك:

- وقع في نشرته: «ما أقرا به».

والصواب: «فأقر به».

- وقع فيها: «وأدلف».

والصواب: «وأزلف».

- وقع فيها: «فضل».

والصواب: «تفضل».

- وقع فيها: «وأملح».

والصواب: «وأفلج».

- وقع فيها: «ولم يمس يده».

والصواب: «ولم يمس ماء».

- وقع فيها: «المقري عنه».

والصواب: «المقرئ بمكة».

- وقع فيها: «لا تر الطائفة».

والصواب: «لا تزال طائفة».

- وقع فيها: «منقله».

والصواب: «منقلبه».

- وقع فيها: «وقال كاتب».

والصواب: «زيادة كانت».

- سقطت هذه الجملة من نشرته: «وقد قيل في الأشعار السائرة:

ومـــا كَنَـــى عـــن أبيـــه إلا وثَـــمَّ سُـــبيب»



توثيق اسم الكتاب ونسبته إلى مصنفه

توثيق اسم الكتاب:

جاء اسم الكتاب في صفحة العنوان هكذا: «الجزء فيه: مثالب ابن أبي بشر».

وجاءت تسميته في بعض السماعات المنقولة في هذه النسخة باسم: «مثالب ابن أبي بشر».

ولكن قبل صفحة العنوان صفحة أخرى سُمِّي فيها الكتاب: «أخبار ابن أبي بشر»، وذكر أنه من رواية أبي طاهر السِّلفي عن أبي الحسين بن أبي يعلى الفراء، عن علي بن أحمد بن يوسف القرشي، عن المصنف. فهي رواية أخرى غير الرواية التي تُروى بها نسختُنا هذه.

فالمعتمد في اسم هذا الكتاب هو «مثالب ابن أبي بشر»، يدل على ذلك أن الكتاب مشهور بهذا الاسم عند العلماء، فمن ذلك:

أن الحافظ ابن عساكر قال في معرض رده على الأهوازي: «ويكفيك من كتابه ترجمته وعنوانه»(١).

فعلَّق عليه الحافظ يوسف بن عبد الهادي بقوله: «كأنه يريد حين سمَّاه «مثالب ابن أبي بشر»»(٢).

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص: ٣٦٤).

(٢) «جمع الجيوش» (ص: ٤٢٢).

ويقول ابن عبد الهادي أيضًا في «كشف الغطا»: «وقد صنَّف هذا الرجل -وهو أبو علي المُقرئ الأهوازي- جزءًا فيه سمَّاه «مثالب ابن أبي بشر»»[(١)].

ويقول الذهبي: «وقد ألَّف الأهوازي جزءًا في مثالب ابن أبي بشر»[(٢)].

توثيق نسبة الكتاب إلى مصنِّفه:

لا يرتاب أحد في أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو علي الأهوازي، فقد اشتهر به عند المؤرِّخين وأصحاب التراجم، لا سيما وقد ردَّ على هذا الكتاب ابنُ عساكر في «تبيين كذب المفتري» ونسبه إلى الأهوازي، ونقل منه جملًا كثيرة.

كذلك نقل ابن عبد الهادي هذا الكتاب كاملًا -لكنه فرَّقه في عدة مواضع- في كتابه «كشف الغطا»، ونسبه إلى الأهوازي.

كما جاء اسم الكتاب معزوًّا للأهوازي في النسخة الخطية للكتاب.

فليس هناك شك في نسبة الكتاب إليه، والله أعلم.



(١) «كشف الغطا» (ص: ١٤١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٩).

وصف النسخة الخطية المعتمدة

هي نسخة نفيسة عتيقة متقنة، مقابلة على الأصل المنقولة منه، وعلى نسخ أخرى، عليها سماعات لكثير من العلماء والحفاظ.

مصدر النسخة:

هي من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق -سلَّمها اللَّه وحفظها وجبرها- برقم (٤٥٢١)، فيلم رقم (١٠٥٩)، وحصلتُ على صورة منها من أخي الشيخ الفاضل أبي عبد اللَّه حسين بن عكاشة، جزاه اللَّه خيرًا.

وصف عام للنَّسخ وكيفيته:

اعتنى الناسخ بضبط كثير من الكلمات المشكِلة، وأحيانًا يعجم الحروف المعجمة، ويضع علامات الإهمال أسفل الحروف غير المعجمة، كما اعتنى بوضع علامة التضبيب على المواضع التي يظن أن بها خللًا.

عدد الأوراق: ١٢ ورقة.

عدد الأسطر: متوسط ١٥ سطرًا.

اسم الناسخ: لم يُذكر.

تاريخ النسخ: قبل سنة (٥٢٧هـ)؛ لأن هذا هو أقدم تاريخِ سماعٍ استطعتُ قراءته على النسخة.

إسناد النسخة:

هي من رواية الشيخ أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل بن مطكود السُّوسي(١) قال: أخبرنا جدِّي الشيخ أبو محمد مقاتل بن مطكود بن أبي نصر المقرئ السُّوسي(٢) قراءةً عليه غيرَ مرةٍ قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي.

تنبيه:

لهذه الرسالة إسناد آخر مدوَّن عليها في صفحة مفردة قبل صفحة العنوان؛ وسأنقل ما جاء في هذه الصفحة: عنون للرسالة باسم: «**أخبار ابن أبي بشر**» ثم كتب أسفل منه: «جمع الشيخ الفقيه أبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد المقرئ نزيل دمشق.

رواية الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي إذنًا عنه(٣).

---

(١) سمع من جدِّه، وأبي القاسم بن أبي العلاء المصيصي، وأبي عبد الله بن أبي الحديد، وسهل بن بشر الإسفراييني. روى عنه أبو القاسم بن عساكر، وابنه القاسم، والحافظ أبو المواهب بن صصرى، وطرخان بن ماضي الشاغوري، وآخرون. قال ابن عساكر: كان شيخًا مستورًا، لم يكن الحديث من شأنه. توفي سنة (٥٤٨هـ). «تاريخ الإسلام» (١١/ ٩٤٨).

(٢) قرأ بدمشق على أبي علي الأهوازي، وسمع منه، ومن علي بن محمد بن شجاع، وأبي علي أحمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر. روى عنه حفيده نصر بن أحمد، وغيره، توفي سنة (٤٩٥هـ). «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٧٧٣).

(٣) هو المعروف بشيخ الإسلام الهكاري، سمع أبا عبد الله بن نظيف، وأبا الحسن بن صخر، وأبا القاسم بن بشران، وأبا الحسين بن الترجمان وغيرهم. روى عنه يحيى بن =

رواية أبي الحسين محمد بن محمد بن الفراء الفقيه عنه قراءة عليه[(١)].

سماع منه[(٢)] للشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد بن سِلَفة الأصبهاني[(٣)] عنه».

وأسفل منه: «وهذه النسخة فيها زوائد وألفاظ ليست في النسخة التي فيها سماع السِّلَفي، وتلك بخط القاضي أبي الحسين بن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي».

وبجواره ما نصه: «شاهدت على نسخة بخط القاضي أبي الحسين

= عطاف الموصلي، وعبد الرحمن بن الحسن الفارسي، والحسن بن محمد بن أبي علي المقرئ، وجماعة سواهم. قال يحيى بن منده: قدم علينا أبو الحسن الهكاري أصبهان، وكان صاحب صلاة وعبادة واجتهاد، مشهور معروف، أحد كبراء الصوفية. وقال ابن عساكر: لم يكن موثَّقًا في روايته. توفي سنة (٤٨٦هـ). «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٥٦٥).

(١) هو الإمام القاضي أبو الحسين ابن شيخ المذهب القاضي أبي يعلى الحنبلي، قرأ ببعض الروايات على أبي بكر الخياط، وسمع الحديث من أبيه، وعبد الصمد بن المأمون، وأبي بكر الخطيب، والعاصمي، وطبقتهم. وتوفي والده وهو صغير، فتفقه على الشريف أبي جعفر، وبرع في الفقه، وأفتى وناظر، وكان عارفًا بالمذهب، متشدِّدًا في السنة، وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول وغير ذلك، توفي سنة (٥٢٦هـ). «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩١).

(٢) كأنه ضبب عليه.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو طاهر السِّلفي الأصبهاني، كان ثقة ورعًا متقنًا متثبِّتًا فَهِمًا حافظًا، له حظ من العربية، كثير الحديث، حسن الفهم والبصيرة فيه. عاش السِّلفي أكثر من مائة سنة، واستوطن الإسكندرية أكثر من ستين سنة، إلى أن مات سنة (٥٧٦ هـ). «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥).

محمد بن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي بخط السِّلَفي ما مثاله: حدثنا القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى بن الفراء العدل الحنبلي ببغداد، وكتب لي بخطه لفظًا، هذا في أول الجزء وفي آخره أيضًا.

بلغت من أوله سماعًا في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وأربعمائة من لفظه».

وبجواره بخط ابن عبد الهادي: «أخبرنا به جماعة من شيوخنا إجازة بإجازتهم من ابن المحب، عن المزي وابن المحب وغيرهما، عن ابن البخاري وابن أبي عمر وغيرهما، عن الشيخ موفق الدين وغيره، عن السلفي. وكتب يوسف بن عبد الهادي».

توثيقات النسخة:

هي نسخة متقنة مصحَّحة، مقابلة على الأصل الذي نُقلت منه، فقد كتب في صفحة العنوان: «عورض به وصحَّ بحمد الله ومنِّه»، وكتب في نهاية النسخة: «بلغ العرض... وصح على قدر الجهد...».

وعلى حواشي النسخة إلحاقات تدل على مقابلتها بالأصل الذي نُقلت منه، كما أنه يضع أحيانًا في نهاية النقل دارة منقوطة، مما يدل على مقابلتها أيضًا.

كما أنه يذكر في الحواشي وبين السطور بعضَ الفروق بين هذه النسخة ونسخ أخرى، مما يدل على مقابلتها بتلك النسخ.

السماعات:

على النسخة عدد من السماعات المنقولة من الأصل المنقولة منه، منها:

- سماع على الشيخ أبي محمد مقاتل بن مطكود السوسي، وذلك سنة (٤٧٤هـ).

- وسماع عليه أيضًا، سمعه ولد ولده نصر بن أحمد وغيره، بالمسجد الجامع بدمشق، وذلك سنة (٤٨٤هـ).

وعلى هذه النسخة نفسها عدد من السماعات، منها:

- سماع على الشيخ أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل، بمسجد دار بطيخ، وذلك سنة (٥٢٧هـ).

- وسماع على القاضي وجيه الدين أبي المعالي أسعد بن المنجى بن أبي البركات، بحق سماعه من أبي القاسم نصر بن أحمد، وذلك سنة (٥٦٩هـ).

- وسماع على الشيخ الثقة أبي القاسم بن مسمار بن أحمد الدمشقي، بحق سماعه من أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل، بمسجد دار بطيخ بدمشق، وذلك سنة (٥٨٧هـ).

التملُّكات والوقف:

كانت ملك أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد العراقي -كما صُرِّح بذلك في بعض السماعات المدونة على النسخة- وهو فقيه حنبلي مقرئ، توفي سنة (٥٨٨هـ)[1].

---

(١) ينظر: «بغية الطلب» (٢/ ٦٩٣)، و«الوافي بالوفيات» (٦/ ٢١٩).

ثم ملكها عمر بن محمد بن منصور -كما في صفحة العنوان- وهو المعروف بابن الحاجب الأميني، كان حافظًا بارعًا ديِّنًا، خيِّرًا، ثبتًا، متيقِّظًا، توفي سنة (٦٣٠هـ)[1].

وقد كُتب على صفحة العنوان: «وقف».

* * *

(١) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٧٠).

المنهج المتبع في ضبط وتوثيق نص الكتاب

١- اعتمدت في إثبات نص الكتاب على نسخة خطية فريدة عتيقة متقنة، ورمزتُ لها بالرمز (أ).

٢- حافظتُ على النص الوارد في النسخة الخطية محافظة كاملة قدر الاستطاعة.

٣- أثبتُّ فروق النسخ التي على حواشي المخطوطة في هامش الكتاب.

٤- قابلتُ نص الكتاب على الكتب التي نقلت منه، لا سيما كتاب «كشف الغطا عن محض الخطا» للحافظ ابن عبد الهادي؛ فقد نقل هذا الكتاب كاملًا مفرَّقًا في عدة مواضع.

ومما أحزنني أني وجدتُ أن النسخة التي اعتمد عليها ابن عبد الهادي هي نسختنا هذه، وكنت أود أن يكون قد اعتمد على غيرها، حتى يكون كتابه بمنزلة نسخة أخرى، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل.

٥- ضبطتُ كثيرًا من الكلمات بالشكل، لا سيما الكلمات المشكلة والأعلام.

٦- علَّقت على بعض المواضع التي رأيتُ أنها في حاجة إلى تعليق، سواء كان ذلك تخريجًا لحديث، أو عزوًا القول، أو ترجمةً لعَلَم، أو شرحًا لغريب، أو غير ذلك.

نماذج من النسخة الخطية

مثالب ابن ابي بشر [illegible]

جمع الحبر الامام الزاهد ابي علي الحسن بن علي بن ابرهيم بن يزداد

الاهوازي المقرئ رضي الله عنه

رواية الشيخ [illegible] السوسي

المقرئ رحمه الله عنه

رواية الحافظ ابي القاسم [illegible]

[illegible] عنه

سماع لاحمد [illegible]

[illegible]

صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

أحسن الله إلى الفقيه يعرب الحوب معالمك مطلود السوسي تقرأ عليه

وهو يسمع ما قرئ به قال لنا جلي الحلو محمد معالمك مطلود بن ... الإمام

المقرئ السوسي قراءة عليه عن ... قال الله ... الإمام ... على

الرحمن على ابن هشام الأهوازي فقال الحمد لله الذي هدانا

للدين القويم ودعانا إلى النعيم الدائم ومنّ علينا باتباع النبي الأكرم

محمد أشرف صفي وأقرب نجي صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه في معامهم

لله ... وسلم تسليما وقد رأيت أن الورع الذي ... فعلنا الصلاة

والتفريط فيه حائرا جائرا عن حده وصار للرؤوس إعجازا

والإكثار من الباطل المجاز ولد السفهاء وعلى الفلا وابدر من

الناشئين للشبه ونحن الطالبون للسنة الأمر ... الله عز وجل

بالعمه وحصدا بالوهم وقليل ما هم ... الله سبحانه عز وجل بفضله

الصفحة الأولى



عليه حتى يخرج من بلد الإحسا بلد لا يدخله مؤمن ولا استتر فيه مسلم وإنما يدخله

الفسقة الفجار وأولياء القرامطة الكفار ولم يزل مقيما بها إلى

أن مات لا رحمه الله ولا بل ثراه وجعل النار منقلبه ومثواه

سمعت أبا عبد الله محمد محمد علان الخرسي المودب الشيخ الصالح

[illegible] بلده رحمه الله يقول وهو قايم في الملتزم يودع البيت للرحيل

مع خراسان تحت [illegible] وسالته الدعا فدعا وأكثر

[illegible] ثم مسح وجهه بيديه بعد الدعاء ثم قال كلمة

اسمعها مني تقدح [illegible] الأشعرية مات الأشعري بالاحسا

[illegible] علم [illegible] لعنه الله واخزاه وجعل الجحيم

مأواه [illegible] فاسأل الله الرحيم الحليم العليم

أن يهب لنا ما [illegible] علينا وأن يكلنا من فضله وإنعامه إنه رؤوف

رحيم كريم ○ [illegible] سال [illegible] أحمد العطار [illegible]

[illegible] رحمه الله يقول ومن [illegible] الأشيا أنه لم يعرف بالبصرة

الانتساب إلى ابن أبي بشر وأصحابه يعرفون [illegible] الاسم و[illegible] الصفونيه بلد

وسمعت شيوخنا من أهل البصرة يقولون ما قرأته من هذا

الاسم إلا بسبب وذلك أن جده أبا بشر كان يهوديا أسلم

على يد رجل ينسب إلى الأشعريين فانتسب إلى ذلك والله أعلم

ومن قيل في الأشعار السائرة وكان كثيرا عن أبيه [illegible]

صورة السماع بخط ابن التميمي [illegible]

سمع الجزء أوله إلى آخره من [illegible] مظفر السوسي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صورة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صورة [illegible] أخرى

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة

مثالب ابن أبي بشر

للشيخ المقرئ أبي علي الحسن بن علي الأهوازي

المتوفى سنة ٤٤٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ أعِن

أخبرنا الشيخ أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل بن مطكود السُّوسي بقراءتي عليه وهو يسمع، فأقرَّ به، قال: أخبرنا جدِّي الشيخ أبو محمد مقاتل بن مطكود بن أبي نصر المُقرئ السُّوسي قراءةً عليه غيرَ مرةٍ، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي قال:

الحمدُ لله الذي هدانا للدِّين الأقوم، ودعانا إلى النَّعيم الأدوم، ومنَّ علينا باتِّباع النبيِّ الأكرم، محمدٍ أشرف صفيٍّ وأقرب نَجِيٍّ، صلَّى الله عليه وعلى آله، وأزلفَ مقامَهم لديه، وسلَّم تسليمًا.

قد رأيتُ[(١)] الأمرَ في الدِّين مُنعكِسًا بضدِّه، والتفريطَ فيه خارجًا عن حدِّه، وصارت الرؤوسُ أعجازًا، والإكثارُ من الباطل[(٢)] إيجازًا[(٣)]، وكثُر السفهاءُ وقلَّ العلماءُ، واندرس الكاشفون للشُّبه، وعزَّ الطالبون للسُّنة، إلا مَن أدركه الله ﷻ بالعصمة، وخصَّه بالتوفيق، وقليلٌ ما هم.

والله ﷻ بفضله القديم وبرِّه العميم لا يُخلي الأرضَ من قائلٍ عليم وعالِمٍ حكيم، يقول الحقَّ ويدفع[(٤)] الباطلَ، ولا يَدَعُ لذي بدعةٍ قولًا يعلو،

---

(١) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «أما بعد فإني رأيت».

(٢) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «القول».

(٣) لم ينقط أوله في أ، فيحتمل أيضًا: «إنجازًا».

(٤) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «ويدمغ».

ولا أمرًا يسمو، فقال تعالى ذِكرُه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فلا[١] معروفَ أفضلُ مِن السُّنة، ولا مُنكَرَ أشدُّ مِن البدعة.

وقد تفضَّل اللَّه ﷻ وأظهر لكلِّ طائفة مِن المبتدعة ما نفَّر[٢] عنهم قلوبَ العامَّة، هو بُعدُهم[٣] عن التعليم[٤] الثلاث[٥] الذي هو[٦] أصلُ[٧] الشريعة وقِوامُ الملَّة: علم آية مُحكَمة، أو سُنة قائمة، أو فريضة عادلة.

ولم تَزَل المبتدعةُ هذه صفتهم[٨] إلى أن[٩] نشأ عليُّ بن أبي بشر المنتمي إلى أبي موسى الأشعري.

وليس ما يدَّعيه من[١٠] نسبه بنافعه في دِينه؛ لأن الأنبياء والصِّدِّيقين -رضوان اللَّه عليهم أجمعين- وَلدُوا الكفَّارَ وعَبَدةَ الأوثان، وقد قال اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «ولا».

(٢) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «ينفر».

(٣) كأنه عدَّله في أ إلى: «ويبعّدهم» ونسبه لنسخة.

(٤) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «العلم».

(٥) ضبب عليه في أ، وليس في «كشف الغطا».

(٦) نسبه في أ لنسخة.

(٧) كأنه عدَّله في أ إلى: «وأصل» ونسب الواو فيها لنسخة.

(٨) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «أوصافهم».

(٩) قوله: «إلى أن» فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «حتى».

(١٠) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «في».

فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦]، وآدم أبو البشر عليه السلام الغالب[١] على أولاده الكُفر والجُحود.

وإنْ كان ما يدَّعيه مِن نسبه زورًا وبُهتانًا، فقد لَعَنه النبي ﷺ، وكفى بذلك ذِلَّةً وصَغارًا.

وادَّعى أنه مِن أهل السُّنة[٢]، ولبَّس على الناس أمْرَه، فمال إليه طائفة جُهَّال وأرذال ضُلَّال، زعموا أنهم يطلبون الكلامَ، وممَّن[٣] اشتغل بالفقه، فتوهَّم كثيرٌ مِن الناس أنهم على الحقِّ، فشاع أمْرُه وذاع في الآفاق، وكان سببَ ذلك زعم أنه ينصُر السُّنة، ونعوذ بالله، بل هو -لعنه الله وأخزاه[٤]- ينصر البدعة[٥]، ويُدخِل على الناس قولَ المعتزلة[٦] والزنادقة وهم لا يشعرون؛ لِمَا هم عليه مِن محبَّة الكلام والمَيْل إليه.

واعلم -وفَّقك الله لمرضاته- أن علي بن أبي بشر مِن أهل البصرة بها وُلد ونشأ، وأقام بها أكثرَ عُمره، وأهلُ بلده أعرفُ به مِن غيرهم، ورأيتُ جماعةً شاهدوه ورأَوْه ونقلوا عنه وحدَّثونا بأخباره إلى أنْ مات، لا رحمه الله.

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «الأغلب».

(٢) في حاشية أ دون علامة: «حيث قال: «من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله»، ثم إنه ادعى أنه من أهل السنة».

(٣) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «منهم من».

(٤) كذا قال عفا الله عنه، واللعن شديد، فلو قال: سامحه الله، أو غفر الله له. لكان أولى، وسيأتي لذلك نظائر، فأكتفي بالتنبيه هنا.

(٥) قوله: « ونعوذ بالله، بل هو -لعنه الله وأخزاه- ينصر البدعة » وقع في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «وكذب بل نصر البدعة ».

(٦) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «المبتدعة».



وسمعتُ جماعةً مِن أهل البصرة يتكلَّمون فيه بأشياءَ عجيبةٍ، وأنا -إنْ شاء اللَّه- أُورد جميعَ ما سمعتُه[١] فيه في هذه الأوراق احتسابًا، ورجاءَ ثوابِ اللَّه ﷻ، وقضاءَ لحقِّك فيما سألتَني عنه، وإلى اللَّه -جلَّت قُدرتُه- الرغبةُ أن يجعلَه لوجهه خالصًا، وإلى مرضاته واصلًا، إنه جواد كريم.

اعلم -وفَّقك اللَّه لمرضاته- أنني سمعتُ أبا الحسن محمَّد بن محمَّد الورَّاق[٢] بالبصرة يقول: سمعتُ أبا بكر الورَّاق يقول: وُلد ابن أبي بشر سنةَ ستِّين ومائتين، ومات سنةَ ستٍّ[٣] وثلاثين وثلاثمائة، قال: ولم يَزَل معتزليًّا أربعين سنة يُناظِرني[٤] على الاعتزال، ثم إنه قال بعد ذلك قال[٥]: قد رجعتُ عن الاعتزال، فلا أدري أُصَدِّقُهُ في القول الأول أو في الثاني.

قال: ولم يتغيَّر عليَّ شيء مِن عقله، ولم يبعث اللَّه ﷻ نبيًّا يُظهر على يديه المعجزات، فيَدَع الخَلْقُ ما هم عليه ضرورةً.

وسمعتُ أبا محمَّد الحسن بن محمَّد العسكري بالأهواز يقول -وكان مِن المخلصين في مذهبه المتقدِّمين في نُصرته سمعتُه يقول-: كان الأشعريُّ تلميذًا للجُبَّائي يدرس عليه ويتعلَّم منه ويأخذ عنه، لا يفارقه أربعين

---

(١) نسب آخره في أ النسخة.

(٢) كأنه اضطرب في كتابته في أ ما بين «الوراق» و«الوزان»، وفي «تبيين كذب المفتري» (ص: ٣٨٠): «الوزان»، والمثبت موافق لما في «الكشف»، ولم أجد لهذا الرجل ترجمة فيما لديَّ من مراجع.

(٣) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «نيف».

(٤) ضبب على آخره في أ، وفوقه فيها منسوبًا لنسخة: «يناضل»، وفي «الكشف»: «يناظر».

(٥) ضبب عليه في أ.

سنة، وكان صاحبَ نظر في المجالس، وذا إقدام على الخُصوم، ولم يكن مِن أهل التصنيف، وكان إذا أخذ القلمَ يكتب ربَّما ينقطع، وربَّما يأتي بالكلام غير مرضيٍّ، وكان أبو علي الجُبَّائي صاحبَ تصنيف وقَلَم، إذا صنَّف يأتي بكلِّ ما أراد مستقصًى، وإذا[١] حضر المجالسَ وناظَرَ لم يكن بمرضيٍّ[٢]، وكان إذا دَهَمه الحضورُ[٣] في المجالس يبعث إلى[٤] الأشعري ويقول له: نُبْ عني. ولم يَزَل على ذلك زمانًا، فلمَّا كان يومًا حضر الأشعريُّ نائبًا عن الجُبَّائي في بعض المجالس وناظَرَه إنسان[٥] فانقطع في يده[٦]، وكان معه رجلٌ مِن العامَّة، فنثر عليه لَوزًا وسُكَّرًا، فقال له الأشعري: ما صنعتُ شيئًا، خصمي استظهر عليَّ وأفلج الحُجَّة[٧] وانقطعتُ في يديه، كان هو أحقَّ بالنِّثار منِّي. ثم إنه أظهر بعد ذلك التوبةَ والانتقالَ عن مذهبه.

وسمعتُ أبا عبد الله الحُمْراني بالأهواز سنة خمس وسبعين وثلاثمائة يقول: لم نشعر يوم الجمعة وإذا بالأشعري قد طَلَع على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة، ومعه شريط فشدَّه على وسطه ثم قَطَعه، وقال: اشهدوا عليَّ أني كنتُ على غير دِين الإسلام، وأني قد أسلمتُ الساعةَ، وأني تائب ممَّا كنتُ فيه مِن القول بالاعتزال. ثم نزل.

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «فإذا».

(٢) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «مرضيًّا».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «الخصوم».

(٤) نسبه في أ لنسخة.

(٥) في حاشية أ دون علامة: «ناظر إنسانًا».

(٦) في حاشية أ وكأنه نسبه لنسخة: «وحار».

(٧) أي: أظهرها. «المصباح المنير» (ف ل ج).

قال أبو عبد الله الحُمْراني: ثم إن الناس اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

فقال أصحابُه ومُتابعوه ومَن يهواه: بان له الحقُّ فتبعه.

وقال طائفة: كان قد مات له قَرابة وله مال كثير، وكان إذ ذاك بالبصرة قاضٍ يغلو في السُّنة، فقال له القاضي: أهل ملَّتين لا يتوارثان. ومنعه مِن الميراث بتأويلٍ تأوَّله عليه، فأظهر التوبةَ حتى أخذ الميراث.

وقال طائفة: كان قد اشتغل بالكلام وأفنى فيه عُمره، وبلغ منه أقصى مَبْلغ، ولم يَرَ لنفسه رُتبة عند العامَّة، ولا منزلة عند الخاصَّة، فأظهر التوبة ليُؤخذ عنه ويُقبَل عليه[١] وتحصُل له منزلة، فبلغ بذلك بعضَ ما أراد[٢].

وكان هذا أبو عبد الله الحُمْراني رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَمًا[٣] في اللغة، قيِّمًا بالنحو والعَروض والغريب والأخبار والأشعار، مقدَّمًا في ذلك، لم يكن فيه عصبيَّة في الدِّيانات، ولا مَيْل إلى الغلوِّ في ذلك، ولا يقول في ذلك إلا بالحقِّ[٤].

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «منه».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٠٤): «دعوى المدَّعي أن الأشعري كان يُبطن خلاف ما يُظهر دعوى مردودة شرعًا وعقلًا؛ بل من تدبَّر كلامه في هذا الباب في مواضع تبين له قطعًا أنه كان ينصر ما أظهره».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «إمامًا».

(٤) لم أجد أحدًا ترجم للحُمراني إلا ابن حجر في «لسان الميزان» (٩/ ١١١) فقال: «أبو عبد الله الحُمراني، حكى عن أبي الحسن الأشعري، روى عنه الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي -يعني: الأهوازي- قصة رجوع الأشعري عن الاعتزال، أخرجها ابن عساكر في أوائل كتاب «تبيين كذب المفتري»، وقال: الحُمراني مجهول» اهـ.
وواضح أن ابن حجر قد استفاد هذه الترجمة من هذه القصة التي ساقها له ابن عساكر فحسب.

وسمعتُ أبا عبد الله الحُمْراني يقول: حضرتُ يومًا في جِنازة بالبصرة والميّتُ يُدفَن، ونحن قِيام على شَفيرِ القبر، والأشعريُّ قائم إلى جانبي، والحفَّار يقول: اللهم وسِّع له حُفرته[1]، ولقِّنه حُجَّته، وبرِّد مَضجعه، وهوِّن عليه ما هو لاقيه. قال[2]: فقال له الأشعري[3]: وألعِقْه خرَاه. قال: فالتفتُّ إليه، فقلتُ: يا أبا الحسن، هذا كلام مِن غير ذاك الجانب. قال: فقال لي: أنا في ذلك الجانب وُلِدتُ.

قلتُ لأبي عبد الله الحُمْراني: ما معنى قولك له: هذا كلام مِن غير ذاك الجانب؟ قال: قلتُ له: هذا كلام المُلحِدة. فقال لي: أنا وُلِدتُ مُلحِدًا. لَعَنه الله وأخزاه.

وأما إظهارُه التوبةَ فغيرُ مقبول منه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**التوبةُ مُحرَّمةٌ على كلِّ صاحبِ بدعةٍ**»[4].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ أبى أنْ يقبلَ لصاحبِ بدعةٍ توبةً**»[5].

---

(١) قوله: «له حفرته» وقع في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «مدخله».

(٢) نسبه في أ لنسخة.

(٣) بعده في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «خزاه (كذا بدون ألف أوله) الله ولعنه وأبعده».

(٤) لم أجد أحدًا أخرجه.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج ابن ماجه (٥٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته». =

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ حجرَ التوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ»[1].

وقال ﷺ: «إنَّ كلَّ ذنب له توبةٌ إلا صاحبَ بدعةٍ ما له توبةٌ»[2].

قال: وفي أخبار بني إسرائيل أن رجلًا أظهر بدعةً ثم تاب منها، فأوحى اللَّه ﷻ إلى نبيٍّ ذلك الوقت: «قل لفلان: تبتَ أنتَ مِن بدعتك؛ فكيف بمَن أضللتَ!!»[3].

= قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٣٨): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وفيه مجاهيل».

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ١١رقم ١٩): «هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون، قاله الذهبي في الكاشف».

وينظر: «الكاشف» (٦٦٣٣)، و«السلسلة الضعيفة» (١٤٩٢).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧)، وابن وضاح في «البدع» (١٤٦)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢١١) من طريق محمد بن عبد الرحمن القشيري عن حميد عن أنس بن مالك.

ومحمد بن عبد الرحمن القشيري منكر الحديث.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠١١)، والضياء في «المختارة» (٢٠٥٥) من طريق هارون بن موسى الفروي عن أبي ضمرة أنس بن عياض عن حميد به.

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٩): «رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة».

وهارون صدوق لا بأس به، ولكنه ليس في وزن من يُقبل منه تفرده، ولا سيما مثل هذا، وحميد الطويل يدلس عن أنس، ولهذا لما ساق الذهبي هذا الحديث في ترجمة هارون من «الميزان» (٤/ ٢٨٧) قال: «هذا منكر».

وينظر: «السلسلة الصحيحة» (١٦٢٠).

(٢) لم أجد من أخرجه بهذا اللفظ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٦٥). =

والناس في التوبة على ضروب؛ فمَن تاب مِن ذنب يختصُّ به وحدَه، فإن الله ﷻ يتوب عليه ويقبل ذلك منه.

ومَن تاب مِن ذنب يتعلَّق بغيره، يكون ذلك الذنبُ بدعةً اعتقَدَها غيرُه[1]، أو ذنبًا فَعَله غيرُه مِن أجله، كان هو السببَ لذنبه، لا تصحُّ منه توبةٌ، أو يتوب[2] هو ويُقلع غيرُه عن ذنبه الذي أذنبه مِن أجله، وإلا لا تصحُّ له توبةٌ أبدًا.

وأما اعتقاد البدعة فما يُتاب منه ولا يُرجع عنه[3]، ولا يعتقد البدعيُّ قطُّ أنه كان على باطل[4]، وهذا شيء ما رأيناه قطُّ في العالَم مِن توبة بدعيٍّ إمامٍ في البدعة، داعٍ إليها، مُجادلٍ عنها، مُخاصمٍ دونها.

= ولا يصلح الاحتجاج بهذا الأثر على عدم قبول توبة المبتدع؛ يقول شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٣) في صدد كلامه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]: «وهذه آية عظيمة جامعة من أعظم الآيات نفعًا، وفيها ردٌّ على من يقول إن الداعي إلى البدعة لا تُقبل توبته، ويحتجون بحديث إسرائيلي فيه: «أنه قيل لذلك الداعية: فكيف بمن أضللت؟» وهذا يقوله طائفة ممن ينتسب إلى السنة والحديث، وليسوا من العلماء بذلك، كأبي علي الأهوازي وأمثاله ممن لا يميِّزون بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة، وما يُحتج به وما لا يُحتج به؛ بل يروون كل ما في الباب محتجين به».

(١) نسبه في أ لنسخة.

(٢) في «الكشف»: «إلا أن يتوب».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «فلا يرجع صاحبها عنها».

(٤) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «ضلال».



وقال بعض العلماء بالبصرة وقد قيل له: فلانٌ تاب مِن بدعته. قال: آمَنَ بلسانه وأنكر[(١)] بقلبه، يعيش مُنافقًا ويموت كافرًا.

وللأشعري -لَعَنه الله وأخزاه- كتاب في السُّنة قد جَعَلوه[(٢)] أصحابُه وقايةً لهم مِن أهل السُّنة، يَلْقَوْنَ به العوامَّ مِن أصحابنا، سمَّاه كتاب «الإبانة»، صنعه[(٣)] ببغداد لَمَّا دَخَلها، فلم يَقبل ذلك منه الحنابلةُ وهَجَروه[(٤)].

سمعتُ أبا عبد الله الحُمْراني يقول: لَمَّا دخل الأشعريُّ إلى بغداد جاء إلى البَرْبَهاري فجعل يقول: رَدَدْتُ على الجُبَّائي وعلى أبي هاشم[(٥)]، ونقضتُ عليهم، وعلى اليهود والنصارى، وعلى المجوس، وقلتُ وقالوا. وأكثر الكلام في ذلك، فلمَّا سكتَ قال البَرْبَهاري: ما أدري ممَّا قلتَ قليلًا ولا

---

(١) في «الكشف»: «وكفر».

(٢) كذا، وهو على لغة: «أكلوني البراغيث»، وفي «الكشف»: «جعله».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «صنَّفه».

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٠٤): «والأشعري ابتُلي بطائفتين: طائفة تبغضه، وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه، ويقول: إنما صنَّف هذه الكتب تقيةً وإظهارًا لموافقة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم. وهذا كذب على الرجل؛ فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته.

فدعوى المدَّعي أنه كان يُبطن خلاف ما يُظهر دعوى مردودة شرعًا وعقلًا؛ بل من تدبَّر كلامه في هذا الباب في مواضع تبين له قطعًا أنه كان ينصر ما أظهره».

(٥) الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعتزلي، وأبو هاشم هو ابنه عبد السلام، رأس طائفة البهشمية من المعتزلة. «الفرق بين الفرق» (ص: ١٦٩)، و«توضيح المشتبه» (٥/ ٢١٨).

كثيرًا، ما[1] نعرف غير[2] ما قاله أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل رضي الله عنه. قال: فخرج مِن عنده وصنَّف كتاب «الإبانة» فلم يقبلوه، ولم يظهر ببغداد إلى أن خرج منها.

وله مسألةٌ في أنَّ الإيمانَ غيرُ مخلوق[3]، كنتُ أحسب أنها منحولةٌ إليه، إلى أن قال لي أبو الحُسين[4] ابن أبي المعتمر: وقعتْ إليَّ وأنا بالرَّقَّة، فتعجَّبتُ منها، وأخذتُها وانحدرتُ إلى بغداد مِن أجلها لا غير، وجئتُ إلى

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «ولا».

(٢) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «إلا».

(٣) هذه المسألة مما تنازع فيها الناس قديمًا، فقال بعضهم: الإيمان غير مخلوق. وقال آخرون: الإيمان مخلوق. أما أهل السنة والجماعة فلم يطلقوا واحدًا من القولين، وقالوا: كلا القولين محدَث مجمل، فينبغي التفصيل، فيقال لمن أطلق واحدًا من القولين: ما تريد بالإيمان؟ أتريد به شيئًا من صفات الله وكلامه، كقوله: لا إله إلا الله، وإيمانه الذي دل عليه اسمه المؤمن؟ فهو غير مخلوق.

أو تريد شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم، فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدَث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل.

ينظر: «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٦/ ٢٩٧- ٢٩٩)، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٦٦٤).

(٤) في أ: «الحسن»، وفوقه دون علامة: «الحُسين»، وهو الموافق لما في «الكشف»، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن خلف أبو الحسين الرقي، المعروف بابن أبي المعتمر، ويُعرف بابن الفحام، قال أبو عمرو الداني: كان زاهدًا فاضلًا متقشِّفًا. وقال الأهوازي: كان يُرمى بالتشيع. توفي سنة (٣٩٩هـ). «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٢٢)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٨٠٦).

ابن الباقِلاني[١] فأريتُه إيَّاها، وقلتُ له: ما هذا؟ فقال لي: هذا صحيح عنه، هو صنَّفها يتَّقي بها الحنابلة ببغداد.

ما أَبْيَنَ هذا وأوضحَهُ! قد صحَّ عنه أنه كتب مسألة وصنَّف كتابًا بشهادة أصحابه عليه أنه ما يعتقدهما، وإنما جعلهما وقايةً مِن مُخالفيه، فكيف حاله في التوبة؟! هكذا هو أيضًا إنما أظهر ذلك وقايةً لا عَقْدًا ومذهبًا.

وقد ثبت عنه وصحَّ بنقل الفُضلاء أنه كان لا دِينَ له، وأنه كان يتهاون بالشريعة، ويركب الفواحشَ، ويترك المفروضاتِ[٢].

سمعتُ أبا الحسن محمَّد بن أحمد الشاهد بالأهواز يقول: رجلان كانا مِن المعتزلة خرجا عن المذهب فألحدا؛ ابن الرَّاوَنْدي[٣] والأشعري.

سمعتُ أخي[٤] أبا الحسن أحمد بن علي يقول: سمعتُ القاضي ابن صخر يقول: سمعتُ عمي أبا محمَّد بن صخر يقول: سمعتُ أبا الفضل بن

---

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، كان يُضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان متكلِّمًا على مذهب الأشاعرة، مات سنة (٤٠٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٩٠).

(٢) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «المفترضات».

(٣) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي، أحد مشاهير الزنادقة، قال الحافظ ابن حجر في التعريف به: «أبو الحسين بن الراوندي الزنديق الشهير، كان أولًا من متكلمي المعتزلة، ثم تزندق واشتهر بالإلحاد، وقيل: إنه كان لا يستقر على مذهب، ولا يثبت على شيء، ويقال: كان غاية في الذكاء، وقد صنف كتبًا كثيرة يطعن فيها على الإسلام، وقد أجاد الشيخ -يعني: الذهبي- في حذف ترجمته من هذا الكتاب، وإنما أوردته لألعنه، توفي إلى لعنة الله في سنة ٢٩٨». «لسان الميزان» (١/ ٦٩٥).

(٤) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «وسمعت أبي».

البقال[١] يقول: سمعتُ أبا علي بن جامع -وأكرِمْ به!- يقول: صحبتُ الأشعريَّ عشرين سنة ما رأيتُه مُصلِّيًا قطُّ.

ولقد صحبتُه في يوم عيدٍ إلى المُصلَّى بالبصرة، فلمَّا بلغنا إلى الخراب دخل وبال وخرج ولم يمسَّ ماءً، فقلتُ: أما تأخذ لك ما تتوضَّا به، والطريق كله فما[٢] يخلو مِن قوم معهم ماء[٣] أو بارد. فقال لي: لا، بويلة العيد لا بدَّ منها. فلمَّا وصلنا إلى المُصلَّى صلَّى على غير[٤] وضوء.

قال أبو علي بن جامع: فلمَّا رجعتُ تركتُه، وخرَّقتُ جميعَ ما كتبتُه عنه، ولم أرجع إليه، ولَزِمتُ غيرَه[٥].

وهذا أبو علي بن جامع مِن فضلاء أهل البصرة.

سمعتُ أبا إسحاق الطبري ببغداد يقول: سمعتُ قاضي القضاة ابن أمِّ شيبان[٦] يقول: قال لي أبو عمر القاضي: اكشف لي عن أبي علي بن جامع؛ فإني أريد أن أعدِّله. فكشفتُ عنه، فوجدته إِبْرِيز الإِبْرِيز[٧].

---

(١) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «النعَّال».

(٢) نسبه في أ لنسخة.

(٣) ضبب بعده في أ، وكتب في الحاشية: «سقط من الأصل: حار».

(٤) قوله: «على غير» فوقه في أ دون علامة: «بغير».

(٥) ولقائل أن يقول: كيف يصحبه عشرين سنة، وهو لا يراه مصلِّيًا، ثم لا يتركه طوال هذه المدة؟! أما يكفي ألا يراه مصلِّيًا يومًا واحدًا ليتركه؟!

(٦) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «ابن أبي سيار».

(٧) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «أبر الأبرين». والإبريز: الذهب الخالص، معرَّب. «المصباح المنير» (ب ر ز).

وسمعتُ أبا سهل بن الصابوني النيسابوري بدمشق سنة ثلاث وتسعين[١] وثلاثمائة يقول[٢] وأبا أسامةَ محمَّد بن أحمد الهروي المُقرئ بمكة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة يقولان: سمعنا الإمام الفقيه[٣] ابن سهل[٤] الصُّعْلُوكي بنيسابور يقول: سمعتُ أبي يقول: كنتُ ربَّما أختلف إلى الأشعري فأكتب عنه شيئًا، قال: فجئتُه في يوم جمعة وقد صلَّينا[٥] العصر، فرأيتُه مِن شقِّ الباب وهو يبول، فلمَّا فرغ مِن بوله دخلتُ عليه، فقال لي: صلَّيتم العصر؟ قلتُ: نعم. ثم قام فصلَّى ولم يتوضَّأ، فخرجتُ مِن عنده، وخرَّقت جميعَ ما كتبتُه عنه، ولم أرجع إليه.

وأقام الأشعريُّ بالبصرة لا يختلف إليه أحدٌ مِن أهل العلم؛ لأنه ليس[٦] هو مِن أهل العلم بحمد الله، ولم يكن له بها إذ ذاك كبيرُ ذِكر ولا كثير أصحاب، وإنما كان له بها أربعةٌ مِن أصحابه، وخرج الأربعةُ دُعاة له في الآفاق؛ أحدهم ابن عينون[٧] الضرَّاب، وخرج إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات لا رحمه الله، ولا[٨] قدر أن يُظهر مِن مذهبه شيئًا مِن هذه الكُفريَّات خيفةً مِن الحنابلة.

---

(١) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «وسبعين».

(٢) نسبه في أ لنسخة. (٣) نسبه في أ لنسخة.

(٤) في حاشية أ دون علامة: «سهل بن أبي سهل».

(٥) كان في أ: «صليتُ» ثم عدله إلى: «صلينا» ونسبه لنسخة.

(٦) فوقه في أ دون علامة: «لم يكن».

(٧) في حاشية أ دون علامة: «عيشون».

(٨) فوقه في أ دون علامة: «ما».

وسمعتُ أبا عبد الله بن حامد رحمه الله[١] يقول: جاءنا ابن عينون[٢] الضراب وأقام عندنا، لم يُظهر مِن هذا الخذلان شيئًا قطُّ.

ومنهم القَلَانِسي[٣] سار إلى الريِّ، وأقام بها إلى أن مات.

ومنهم عبد العزيز الملقَّب دُمَّل[٤] سافر إلى الشام وإلى مصر، وأقام بها إلى أن مات.

ومنهم أبو عبد الله بن مجاهد[٥] أقام بالبصرة إلى أن مات.

وقال لي أخي[٦] أبو إسحاق بن لولو رحمه الله: كان أبو عبد الله بن مجاهد يقعد على الحصى في الصحن مِن الجامع، ولا يُغطِّي رأسَه في الشتاء، والناس يضحكون منه ويتلهَّوْن به، ولم يكن في نفوس الناس بالطائل، ولا كان يُعَدُّ في العلماء، ولا في[٧] الناس المذكورين.

---

(١) هو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي الوراق، شيخ الحنابلة ومفتيهم، توفي سنة (٤٠٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٠٣).

(٢) في حاشية أ دون علامة: «عيشون».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «الملقب دمل». وذكر ابن عساكر في «التبيين» (ص: ٣٩٨) أنه هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، وأنه من معاصري أبي الحسن الأشعري لا من تلامذته، والله أعلم.

(٤) هو عبد العزيز بن محمد بن إسحاق أبو الحسن الطبري. «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٣٩).

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلِّم، توفي سنة (٣٧٠هـ تقريبًا). «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٠٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٣٣٩).

(٦) نسبه في أ لنسخة.

(٧) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «من».

وله ثلاثة تلاميذ[(١)]؛ ابن الباقِلاني[(٢)]، وابن فُورَك[(٣)]، وأبو الحسن الطَّبَري[(٤)].

أما ابن الباقِلاني فكان أجيرًا لفامِيٍّ[(٥)] في كل يوم بأربعة دوانيق في قصر الزيت لمَّا حسُن حاله، بعد أن كان يرمي الشوك تحت قِدْر الباقِلا لأبيه فطيس طيبان[(٦)] الباقلاني[(٧)]، ثم داخَلَ السلاطين، فارتفع بهم لا بالعلم.

وأما ابن فُورَك فإنه سافر إلى نيسابور[(٨)] وأقام بها إلى أن مات.

وأما أبو الحسن الطَّبَري، فإنه لم يظهر بالكلام قطُّ، ولزم حلقةَ أبي علي المَروزي بالبصرة، ولم يفارقها إلى أن مات، وقد شاهدتُه أنا بالبصرة.

---

(١) فوقه في أ: «تلامذة»، وبعده في الحاشية منسوبًا لنسخة: «أحدهم».

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني المتكلِّم الأشعري، توفي سنة (٤٠٦ هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢١٤).

(٤) هو علي بن محمد بن مهدي أبو الحسن الطبري المتكلِّم، صاحب كتاب «مشكل الأحاديث الواردة في الصفات». «التبيين» لابن عساكر (ص: ٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٤٩٣).

(٥) الفامي: هو بائع الحمص والقمح. «تاج العروس» (ف و م).

(٦) كذا يمكن قراءة هاتين الكلمتين في أ، وكذلك في «الكشف»، والله أعلم بالصواب.

(٧) فوقه في أ دون علامة: «في»، وفي حاشيتها منسوبًا لنسخة: «دكان أبيه».

(٨) فوقه في أ دون علامة: «خراسان».

ولم يكن للأشعري منزلةٌ في العلم والقرآن والفقه والحديث، وكذلك جميع نظرائه مِن المتكلِّمين، إذا فتَّشنا العلماءَ لم نجد لواحد منهم مع القُرَّاء ذِكْرًا، ولا مع الفقهاء، ولا في أصحاب الحديث، بل[١] نجدهم[٢] في الصدر مع الفلاسفة وأصحاب الهندسة والمنطق والزندقة، ومع مَن يقول بالكفر والإلحاد، وتركَ الكتاب والأثر، وركوب القياس[٣] والخَطَر.

ولم يزل -بحمد الله ومنِّه- قولُ الأشعري مهجورًا متروكًا، لا يُلتفت إليه ولا يُعتدُّ به[٤]، إلى أن نشأ[٥] هذه الطائفة التي تقول: لا نقول بالقرآن والأثر. فمالوا إليه وطاروا نحوَه، وأخذوه بكلتي[٦] اليدين؛ فطائفة منهم مضت إلى خُراسان، وطائفة مضت إلى المغرب، وطائفة إلى الحجاز، ومنذ قَوِيَ ذلك واشتهر أقلُّ مِن نحو ثلاثين سنة[٧]، واللهُ تعالى بفضله وإحسانه وجوده وامتنانه لا يُخلي[٨] في كل قُطر مِن أقطار الأرض ممَّن يدحض قولَهم، ويبيِّن فضيحتَهم، ويدمغ[٩] كلمتَهم، ولا يترك لهم منزلةً ترتفع،

---

(١) بعده في أ بين السطور دون علامة: «ولم».

(٢) بعده في أ بين السطور دون علامة: «إلا».

(٣) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «الجدل».

(٤) في حاشية أ دون علامة: «يقتدى به».

(٥) كذا في أ، وفي «الكشف»: «نشأت».

(٦) كذا في أ وهو جائز، ينظر: «إيضاح شواهد الإيضاح» (١/ ٤٠٨).

(٧) وقد وافقه ابن عساكر على هذا القول. ينظر: «تبيين كذب المفتري» (ص: ٤١٠)، و«الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١٠٥).

(٨) بعده في حاشية أ دون علامة: «قُطرًا».

(٩) فوقه في أ منسوبًا لنسخة: «ويدفع».

كما قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن أمَّتي على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خالَفَهم حتى يأتيَ أمرُ الله وهم ظاهرون»[١].

ولم يزل الأشعريُّ يسير في البلاد، ولا يُقبل قولُه، ولا يرتفع حالُه، وهو مخمول غير مقبول [لا يجد][٢] في بلاد الإسلام[٣] مقرًّا، ولا في كنف المسلمين عزًّا، ولا في[٤] العلماء إقبالًا عليه، حتى لحق ببلد الأَحساء، بلد لا يدخله مؤمن، ولا يقرُّ فيه مسلم، وإنما يدخله الفسقة الفُجّار، وأولياء القرامطة الكُفّار[٥]، ولم يزل مقيمًا بها إلى أن مات، لا رحمه الله، ولا بلَّ ثراه، وجعل النارَ مُنقلَبه ومثواه.

سمعتُ أبا عبد الله محمد بن محمد[٦] بن علان المحرسي المؤدِّب الشيخ الصالح بمكة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول وهو قائم في الملتزم يودِّع البيتَ للرحيل مع [حاجِّ][٧] خُراسان، فجئتُ وقفتُ بجنبه وسألتُه الدعاءَ، فدعا وأكثر وانتحب وبكى، ثم مسح وجهه بيديه بعد الدعاء، ثم قال: كلمةٌ اسمَعْها

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) ليس في أ، وفي حاشيتها: «سقط من الأصل: لا يجد في بلاد الإسلام»، وهو ثابت في «الكشف».

(٣) في حاشية أ منسوبًا لنسخة: «الشام».

(٤) أسفل منه في أ منسوبًا لنسخة: «من».

(٥) كانت الأحساء والبحرين وما حولها مقرًّا للقرامطة في ذلك الزمان.

(٦) ضبب عليه في أ.

(٧) ليس في أ، وضبب مكانه، وكتب في الحاشية: «ليس من الأصل، صوابه: حاج»، وهو ثابت في «الكشف».

مني تُقرِّع بها الأشعرية: مات الأشعري بالأحساء سكران على ظهر غلام[١]، لَعَنه اللَّه وأخزاه، وجعل الجحيم مأواه، وجميع مَن يعتقد اعتقاده[٢].

فأسأل اللَّه الرحيمَ الحكيمَ[٣] العليمَ أن يُديم لنا ما تفضَّل به علينا، وأن لا يُخليَنا مِن فضله وإنعامه، إنه رؤوف رحيم كريم.

زيادة وهي مسموعة كانت في أصل نجا بن أحمد العطار[٤] عن الشيخ أبي علي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

ومن أعجب الأشياء أنه ليس يُعرف بالبصرة إلا بابن أبي بشر، وأصحابه يفرُّون مِن هذا الاسم، ولا يصفونه به، وسمعتُ شيوخًا مِن

---

(١) هذه حكاية منكرة مستبشعة، والمحرسي لم أجد له ترجمة، ولو كان يجوز لي حذفُها لحذفتُها، ولكن الأمانة تقتضي إثباتها، مع ذكر بطلانها.

وقد أساء الأهوازي في إيرادها، وقد قابلها ابنُ عساكر بمنكر أبشع منها، فقد ساق بسند مظلم مكذوب: أن بعضهم وجد الأهوازي مع غلام أسود، على ضد ما حكى هو في حق الأشعري. واللَّه المستعان.

(٢) في حاشية أ: «في نسخة بخط القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الفراء العدل: قال أبو علي الأهوازي: ولولا أني قصدت الإيجاز والاختصار لطال الشرح في هذا الأمر، ونسأل اللَّه السلامة في أدياننا، والعون على ما يحبه ويرضيه، بفضله وجوده وإحسانه، إنه سميع قريب، والحمد للَّه».

(٣) ويحتمل رسمه في أ أن يكون: «الحليم».

(٤) هو دمشقي، ليس بعمدة، كان آية في التصحيف والخطأ، وله معجم بتخريجه، مات سنة (٤٦٩هـ). «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٤٨).

ولكن هذه الزيادة ثابتة من رواية القاضي ابن أبي يعلى عن أبي الحسن القرشي عن الأهوازي، كما في «كشف الغطاء» (ص: ١٤٠).

أهل البصرة يقولون: ما فرارُهم مِن هذا الاسم إلا لسبب، وذلك أن جدَّه أبا بشر كان يهوديًّا أسلم على يد رجل يُنسب إلى الأشعريين، فانتسب إلى ذلك، والله أعلم.

وقد قيل في الأشعار السائرة:

وما كَنَى عن أبيه إلَّا وثَمَّ سُبيبُ[1]

* * *

(١) في حاشية أ، وكتب فوقه: «ليس من الأصل» ما نصه:

سألتُهُ عن أبيهِ فقال جَدِّي شُعَيْبُ
وما كَنَى عن أبيه إلَّا وثَمَّ سُبيبُ